

بحث بعنوان

موقع أم السرب الأثري: دراسة تاريخية ومعمارية وآفاق التنمية السياحية المستدامة

إعداد

ماجد راشد احمد الشرعة

رئيس قسم الطرق

بلدية الأمير الحسين بن عبدالله

المخلص

يتناول هذا البحث موقع أم السرب الأثري الواقع في محافظة المفرق شمال الأردن، بوصفه أحد أهم المواقع التراثية في المفرق، لما يحمله من قيمة تاريخية ومعمارية تعكس تعاقد الحضارات على أرض الأردن. يستعرض البحث الموقع الجغرافي لأم السرب، وتطوره التاريخي منذ العهد النبطي مروراً بالفترات الرومانية والبيزنطية، ثم العصور الإسلامية المختلفة وصولاً إلى العهد العثماني والعصر الحديث. كما يسلط الضوء على أبرز المعالم الأثرية في الموقع، وفي مقدمتها كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس، والكنائس البيزنطية الأخرى، والمنازل البازلتية، والنقوش الحجرية، ونظم المياه الرومانية. ويعرض البحث تاريخ الأبحاث والتنقيبات الأثرية التي أُجريت في الموقع منذ أواخر القرن التاسع عشر، وجهود الترميم والتأهيل الحديثة، خاصة تلك المنفذة بالتعاون مع منظمة اليونسكو، ودورها في حماية التراث وتعزيز التنمية المحلية. ويناقش البحث الأهمية السياحية والثقافية لموقع أم السرب، والتحديات التي تواجهه، إضافة إلى الطموحات المستقبلية لتحويله إلى نموذج ناجح للسياحة الثقافية المستدامة، بما يسهم في دعم المجتمع المحلي والحفاظ على الإرث الحضاري للموقع.

الكلمات المفتاحية: موقع أم السرب الأثري. كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس.

<https://jaspss.com>**Abstract**

This research examines the archaeological site of Umm al-Surab, located in the Mafraq Governorate in northern Jordan. It is considered one of the most significant heritage sites in the region, possessing historical and architectural value that reflects the succession of civilizations on Jordanian soil. The study explores the site's geographical location and its historical evolution—from the Nabataean period, through the Roman and Byzantine eras, and various Islamic periods, up to the Ottoman era and the modern day. It highlights the site's most prominent archaeological features, including the Church of Saints Sergius and Bacchus, other Byzantine-era churches, basalt structures, stone inscriptions, and Roman water management systems. Furthermore, the research reviews the history of archaeological investigations and excavations conducted at the site since the late 19th century, as well as modern restoration and rehabilitation efforts—notably those carried out in cooperation with UNESCO—and their role in heritage preservation and local development. Finally, the study discusses the tourism and cultural significance of Umm al-Surab, the challenges it faces, and future aspirations to transform it into a successful model for sustainable cultural tourism—one that supports the local community while preserving the site's rich civilizational legacy.

Keywords: Umm al-Surab archaeological site; Church of Saints Sergius and Bacchus.

المقدمة

تتخر المملكة الأردنية الهاشمية بموروث حضاري ومعماري يعكس قدرة الأجيال المتعاقبة على التفاعل مع بيئتها الطبيعية، وتُشكل المواقع الأثرية في شمال الأردن، وتحديدًا في محافظة المفرق، شواهد حية على هذا التفاعل. فقد كانت هذه المنطقة جزءاً من منطقة "حوران" التاريخية، التي شهدت ازدهاراً كبيراً في العصور البيزنطية والإسلامية المبكرة، حيث تأسست فيها مستوطنات بشرية اعتمدت على الزراعة والتجارة. وفي هذا السياق، يبرز موقع "أم السرب" كواحد من أهم المواقع الأثرية الواعدة التي تجمع بين القيمة التاريخية العريقة والخصائص المعمارية الفريدة التي تستحق الدراسة والتوثيق والتوظيف الأمثل.

يتميز موقع "أم السرب" بموقعه الجغرافي الاستراتيجي وتضاريسه التي ساعدت على نشوء مستوطنة بشرية مزدهرة، وتتجلى عبقرية بناء الموقع في استخدامهم للحجر البازلتى الأسود المحلي في تشييد المباني، بما في ذلك الكنائس، والمنازل، وخزانات المياه، ومعاصر الزيتون. وتعكس هذه العناصر المعمارية تطورات هندسية واجتماعية واقتصادية مهمة، حيث كانت المدينة مركزاً حيوياً لإنتاج الزيت والنبيد، ونقطة التقاط للقوافل. ومع ذلك، لا تزال العديد من الجوانب المتعلقة بالتسلسل الزمني الدقيق للموقع، وتقنيات البناء المستخدمة فيه، وكيفية إدارته بيئياً، بحاجة إلى مزيد من البحث العلمي المعمق.

في ضوء التحولات الكبرى التي تشهدها منظومة السياحة والتراث في الأردن، لم يعد الهدف من المواقع الأثرية مجرد حفظها خلف الأسوار، بل فتحها أمام الزوار بما يضمن استدامتها وتفعيل دورها في التنمية المحلية. وتُعد التنمية السياحية المستدامة المدخل الأمثل لتحقيق هذا التوازن، خاصة في محافظات مثل المفرق التي تحتاج إلى دفعات اقتصادية تنعش مجتمعاتها المحلية. وبناءً على ذلك، تأتي أهمية هذا البحث في محاولته تقديم قراءة

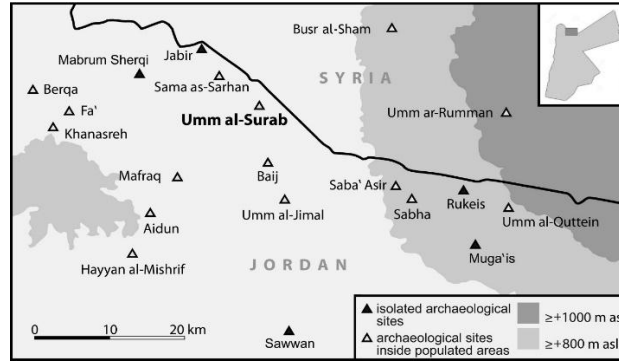
شاملة لموقع "أم السرب"، تربط بين ماضيه العريق ومستقبله كوجهة سياحية مستدامة تسهم في التنمية الشاملة للمحافظة.

موقع أم السرب الأثري

تقع أم السرب في محافظة المفرق شمال الأردن، على مسافة تقارب 18 كيلومتراً شمال مدينة المفرق، ونحو 80 كيلومتراً من العاصمة عمّان. وتشكّل القرية جزءاً من لواء البادية الشمالية الغربية، في منطقة قريبة من أم الجمال الأثرية التي تُعد واحدة من أبرز المواقع التاريخية في شمال المملكة. تمتاز أم السرب ببيئتها البركانية الجافة، حيث تنتشر الصخور البازلتية السوداء على امتداد أراضيها. ويقال إن اسمها يرتبط بظاهرة السراب التي تظهر بكثرة في صيف البادية، وتضفي على المكان مسحة شاعرية خاصة.

تُعد أم السرب قرية أثرية غنية بطبقاتها الحضارية المتراكمة، إذ شهدت المنطقة استيطاناً واستمراراً عمرانياً عبر فترات طويلة. يبدأ تاريخها من العهد النبطي، ويتواصل خلال العصرين الروماني والبيزنطي، ثم يظهر فيها حضور واضح خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطى، وصولاً إلى الاستيطان في العهد العثماني الحديث. هذا التراكم الحضاري ترك بصمة واضحة في معمار القرية؛ من كنائسها البيزنطية ومنازلها البازلتية القديمة، إلى النقوش واللقى الأثرية التي تثبت أن أم السرب لم تكن قرية عابرة، بل مجتمعاً عاش واستمر عبر الزمن.

يأتي هذا الكتيب ليلقي الضوء على أهم جوانب موقع أم السرب: موقعها الجغرافي، تاريخها وتعاقب حضاراتها، أبرز معالمها الأثرية، إضافةً إلى جهود البحث والتنقيب التي قامت بها الجامعات والمؤسسات المختصة. كما يعرض الكتيب مشاريع الترميم الحديثة التي أُنجزت لحماية الموقع، ويسلط الضوء على قيمته التراثية والسياحية بالنسبة للمجتمع المحلي ومحافظة المفرق والأردن عموماً.



ويهدف هذا العمل إلى تعزيز الوعي بأهمية الموقع، واستقطاب الدعم اللازم لصونه وتطويره، مع توضيح فرص الاستثمار السياحي والثقافي التي يمكن أن تسهم في تنمية المجتمع المحلي وتوفير فرص عمل جديدة. سيتم دعم النص بالصور والخرائط التوضيحية، ليكون الكتيب وثيقة تعريفية جاذبة ومقنعة للجهات الداعمة والزائرين والمهتمين بالتراث.





الشكل (1) موقع أم السرب الاثري

مشكلة البحث

تتمثل المشكلة الرئيسية للبحث في غياب الدراسات الأكاديمية الشاملة والحديثة التي تدمج بين التوثيق التاريخي والمعماري الدقيق لموقع "أم السرب"، وبين التطبيقات العملية لمفاهيم التنمية السياحية المستدامة. فمعظم المعلومات المتوفرة عن الموقع تقتصر إلى التحليل المعماري المتعمق الذي يوضح تقنيات البناء البازلتية وأنظمة إدارة المياه، كما تقتصر إلى رؤية استراتيجية حول كيفية تحويله إلى مقصد سياحي. هذا الغياب المعرفي والتخطيطي يعرض الموقع لمخاطر متعددة، أهمها التدهور الطبيعي بسبب العوامل الجوية، والإهمال، والمخاطر المحتملة الناتجة عن أي تدخلات عشوائية غير مدروسة في حال التفكير في استثماره سياحياً دون أسس علمية. وتتفرع عن هذه المشكلة الرئيسية مشكلة فرعية تتعلق بكيفية التوفيق بين متطلبات الحفظ والصون للمواقع الأثرية المبنية بالحجر البازلتي الهش، وبين الضغوط الناتجة عن النشاط السياحي. فكيف يمكن تصميم نموذج سياحي مستدام لموقع "أم السرب" يضمن حماية نسيجه المعماري والتاريخي من التآكل والاندثار، وفي نفس الوقت يوفر تجربة سياحية ثقافية غنية للزوار، ويحقق عائداً اقتصادياً ينعكس إيجاباً على تنمية المجتمع المحلي في محافظة

المفروق؟ إن الإجابة على هذا التساؤل تتطلب وضع إطار منهجي دقيق يحدد طاقة الموقع الاستيعابية، وآليات الإدارة، وأدوات الصون الوقائي.

أهداف البحث

1. تتبع التطور التاريخي والاستيطاني لموقع "أم السرب" عبر العصور البيزنطية والإسلامية المبكرة، وتحديد دوره الاقتصادي والديني في منطقة حوران.
2. تحليل الخصائص والمميزات المعمارية للموقع، والوقوف على تقنيات البناء بالحجر البازلتي، وتصميم الفراغات، وأنظمة إدارة المياه.
3. تقييم الوضع الراهن لحالة الحفظ والصون في الموقع، ورصد أبرز التهديدات الطبيعية والبشرية التي تتعرض لها عناصره الأثرية.
4. استكشاف الإمكانيات والموارد المتاحة في موقع "أم السرب" ومحيطه البيئي التي تؤهله ليكون وجهة للسياحة الثقافية والريفية المستدامة.
5. اقتراح إطار استراتيجي وتطبيقي لتطوير الموقع سياحياً بشكل مستدام، يضمن صون التراث وتحقيق المنفعة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المحلي في المفروق.

أهمية البحث

تكمن الأهمية العلمية والأكاديمية للبحث في أنه يسد فجوة حقيقية في المكتبة العربية والمحلية المتعلقة بالمواقع الأثرية في شمال الأردن، من خلال تقديم دراسة ميدانية وتحليلية معمقة لموقع "أم السرب". فهو يُثري حقل التاريخ المحلي والعمارة التقليدية ببيانات جديدة حول أنماط الاستيطان البشري، وتطور تقنيات البناء بالبازلت،

وإدارة الموارد المائية في البيئات شبه القاحلة. كما يُعد مرجعاً أساسياً للباحثين وطلاب الدراسات العليا المهتمين بعلم الآثار، وإدارة التراث، والتخطيط السياحي، مما يفتح آفاقاً لبحوث مستقبلية مقارنة مع مواقع أخرى مشابهة في بلاد الشام.

أما على الصعيد التطبيقي والعملي، فتتجلى أهمية البحث في تقديمه لخارطة طريق عملية لصناع القرار في وزارة السياحة والآثار الأردنية، وسلطة إقليم البترا، والمجالس المحلية في محافظة المفرق. فالنموذج المقترح في البحث لتطوير الموقع بشكل مستدام يمكن تعميمه أو الاستفادة من منهجيته في مواقع أثرية أخرى في المفرق (مثل أم الجمال)، مما يساهم في تحقيق أهداف الاستراتيجية الوطنية للسياحة الراحية إلى تنوع مصادر الاقتصاد الوطني وتوزيع منافعه جغرافياً. بالإضافة إلى ذلك، يسلط البحث الضوء على دور المجتمع المحلي في حماية التراث، مما يعزز من شعور الانتماء والهوية لدى الأجيال الجديدة.

أسئلة البحث

1. ما هي المراحل التاريخية والاستيطانية التي مر بها موقع "أم السرب" ودوره في المنطقة؟
2. ما أبرز الخصائص المعمارية والهندسية التي تميز موقع "أم السرب"؟
3. ما الوضع الراهن لحالة الحفظ وأبرز التهديدات التي تواجه الموقع الأثري؟
4. كيف يمكن تطبيق مبادئ السياحة المستدامة في موقع "أم السرب" دون الإضرار بقيمته الأثرية؟
5. ما الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية المتوقعة من تطوير الموقع كوجهة سياحية مستدامة لمحافظة المفرق؟

الإطار النظري

يستند الإطار النظري للبحث أولاً إلى مفهوم "القيمة التراثية وأخلاقيات الحفظ"، والذي يُعرّف الموقع الأثري ليس فقط كمجموعة من البقايا المادية، بل كنص تاريخي يحمل قيماً تاريخية وجمالية وعلمية. وتتطلب إدارة هذه القيم تبنياً لنظريات الحفظ التي تؤكد على أهمية التوثيق الشامل قبل أي تدخل، والحفاظ على "الصدق المادي" للموقع، وهو ما يتماشى مع مواثيق التراث الدولية مثل ميثاق البندقية (1964) وميثاق بورا، التي ترفض إعادة الإعمار التخميني وتدعم الصون الوقائي، خاصة للمواقع المبنية بالحجر البازلتي.

ثانياً، يستعرض الإطار النظري مفهوم "العمارة المحلية والتكيف المناخي"، والذي يسلط الضوء على كيفية استجابة العمارة في منطقة حوران والمفرق للظروف البيئية شبه القاحلة. وتُعد هذه العمارة تجسيداً للاستدامة البيئية القديمة، حيث تعتمد على الكتلة الحرارية للحجر البازلتي، والتهوية الطبيعية، والمواد المحلية، مما يوفر نموذجاً مستوحى منه لتصميم المرافق السياحية الحديثة في الموقع بما يتناغم مع البيئة ولا يشوه المنظر الطبيعي أو يطغى على الأثر.

ثالثاً، يتناول البحث نظرية "التنمية السياحية المستدامة"، التي تُعرّفها منظمة السياحة العالمية بأنها السياحة التي تأخذ في الحسبان، وبشكل كامل، آثارها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، سواء في الوقت الراهن أو في المستقبل. وتستند هذه النظرية إلى ثلاث ركائز أساسية: الاستدامة البيئية (حماية الموارد الطبيعية والتراثية)، والاستدامة الاقتصادية (تحقيق دخل عادل للمجتمع المحلي)، والاستدامة الاجتماعية والثقافية (احترام المجتمعات المضيفة وتعزيز تراثها).

رابعاً، يعتمد البحث على نظرية "إدارة المواقع الأثرية والقدرة الاستيعابية"، والتي تركز على تحديد التهديدات المحتملة ووضع خطط طوارئ واستراتيجيات تخفيف. وتتضمن هذه النظرية مفاهيم مثل "القدرة الاستيعابية" بمختلف أبعادها (الفيزيائية، والبيئية، والاجتماعية، والإدراكية)، والتي تحدد الحد الأقصى للزوار الذين يمكن للموقع استيعابهم دون حدوث تدهور في موارده الأثرية أو تدهور في تجربة الزائر أو إزعاج للمجتمع المحلي.

خامساً، يستند الإطار إلى نظرية "السياحة القائمة على المجتمع المحلي"، والتي تضع السكان المحليين في قلب عملية التخطيط والتطوير والإدارة السياحية. وتفترض هذه النظرية أن إشراك المجتمع يضمن توزيعاً عادلاً للمنافع، ويعزز من شعور الملكية والمسؤولية تجاه الموقع الأثري، مما يحول المجتمع من متفرج سلبي أو تهديد محتمل إلى شريك أساسي في الحفظ والتنمية، وهو أمر بالغ الأهمية لنجاح أي مشروع سياحي في محافظة المفرق.

السياق التاريخي للموقع عبر العصور

شهدت أم السرب تاريخاً طويلاً من الاستيطان البشري، إلا أن ازدهارها تباين عبر الفترات التاريخية. يُرجَّح أن المنطقة كانت مأهولة في العهد النبطي، أي ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، حيث عُثر على نقش نبطي يذكر اسم الملك ربّ إيل الثاني، آخر ملوك الأنباط. ورغم ذلك، لم تكن أم السرب مركزاً نابطياً رئيسياً مقارنة بالمدن الكبرى مثل البتراء، نظراً لبعدها الجغرافي عن العاصمة النبطية.

الفترة الرومانية

بدأ موقع أم السرب يبرز في أوائل العهد الروماني، وتحديداً بعد سنة 106م، عندما ضم الإمبراطور تراجان المملكة النبطية إلى الإمبراطورية الرومانية. أصبحت المنطقة ضمن مقاطعة "العربية" التي كانت عاصمتها

بصرى الشام، وازدهرت القرية بسبب وقوعها على طريق تراجان التجاري الممتد من دمشق إلى العقبة. خلال هذه الفترة، شُيّدت في أم السرب بيوت سكنية بازلتية متينة، خاصة في الجزء الغربي من القرية، كما أنشئت برك وآبار لجمع مياه الأمطار لتأمين مصادر المياه في البيئة الصحراوية. وتشير المسوحات الأثرية أيضاً إلى وجود أعمدة حجرية منقوشة بأسلوب معماري كلاسيكي، مما يدل على أن الموقع ربما احتوى على منشآت عامة أو دينية خلال العصر الروماني.

الفترة البيزنطية

بلغت أم السرب ذروة ازدهارها خلال العصر البيزنطي في القرنين الخامس والسادس الميلاديين. فقد كانت تجمعاً سكنياً نشطاً، واشتملت على ثلاث كنائس على الأقل، من أبرزها كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس التي بُنيت عام 489م. يعكس وجود هذه الكنائس المكانة الدينية للقرية في ذلك الوقت، ودورها كمركز روحي للمجتمع المحلي في جنوب حوران. كما أُعيد استخدام بعض المنازل القديمة خلال هذه الفترة، أو أنشئت مباني جديدة لتواكب احتياجات السكان البيزنطيين.

الفترة الإسلامية المبكرة

مع بداية العصر الإسلامي، استمر الاستيطان في أم السرب بلا انقطاع. وفي الفترة الأموية (القرن السابع – أوائل القرن الثامن)، استوطن المسلمون القرية واستفادوا من المباني الرومانية والبيزنطية القائمة، وأضافوا إليها تعديلات معمارية جديدة. وتشير الحفريات الأثرية إلى أن نهاية العصر الأموي شهدت على الأرجح زلزالاً قوياً تسبب في انهيار جزء كبير من مباني القرية، حيث اكتُشف تحت الأنقاض فخار يعود إلى أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي، وهو ما يدعم فرضية وقوع هذا الحدث المدمر.

الفترة الأيوبية والمملوكية

رغم الدمار الذي تعرّضت له القرية في القرن الثامن الميلادي، فإن الاستيطان عاد إليها من جديد خلال العصور الإسلامية اللاحقة. في عهد الأيوبيين والمماليك (القرنين الثاني عشر إلى الخامس عشر)، استمرت الحياة في الموقع وإن كانت بكثافة أقل مما كانت عليه سابقاً. في هذه الفترة، جرى تحويل كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس إلى مسجد يخدم سكان القرية المسلمين، وهو مثال مهم على استمرارية استخدام المباني الدينية عبر الأديان والعصور. كما تشير اللقى الفخارية المكتشفة إلى أن أم السرب احتفظت بأهمية نسبية، مقارنة بموقع أم الجمال المجاور الذي شهد نشاطاً عمرانياً أقل خلال الفترة نفسها.

الفترة العثمانية والعصر الحديث

في العهد العثماني، ثم خلال بدايات القرن العشرين، استقرت بعض العائلات من عشائر البادية في أم السرب، واستخدمت البيوت الأثرية القديمة للسكن. وقد أشار بعض الرحالة في أوائل القرن العشرين إلى أن السكان المحليين استعملوا المنازل القديمة دون إحداث تغييرات كبيرة في معمارها، سوى بعض الإصلاحات البسيطة لتتناسب احتياجات العيش.

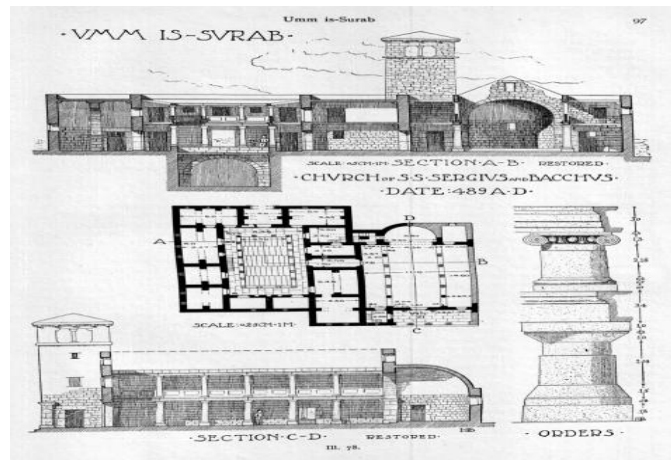
المعالم الأثرية في أم السرب

تزخر أم السرب بعدد كبير من المعالم الأثرية التي تجعلها موقعاً مهماً للزيارة والبحث والدراسة، فهي تضم بقايا كنائس بيزنطية مميزة من بينها كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس، إلى جانب كنائس أخرى تشهد على ازدهار الحياة الدينية في القرية خلال القرون الأولى للميلاد. كما تنتشر في الموقع منازل بازلتية متينة بُنيت على الطراز الروماني والبيزنطي، وتُظهر مستوى متقدماً من التنظيم العمراني والقدرة على التكيف مع البيئة البركانية

الصحراوية. وتُعد النقوش النبطية واليونانية والأعمدة الحجرية من أبرز الشواهد المعمارية والفنية على تاريخ المنطقة، بالإضافة إلى نظام مائي متكامل اعتمدته السكان القدماء لتجميع مياه الأمطار عبر برك وآبار منحوتة في الصخر. إن هذه العناصر مجتمعة تجعل من أم السرب متحفاً مفتوحاً يروي تاريخاً ممتداً لأكثر من ألفي عام، ويقدم تجربة غنية للزوار والباحثين على حد سواء.

كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس

تُعد هذه الكنيسة أبرز معالم القرية، وقد شُيّدت عام 489م من الحجر البازلتي المحلي. تتألف من بازيليكا ذات فناء وأروقة، وكانت مركزاً دينياً مهماً للمجتمع المسيحي في أم السرب. ما زالت جدرانها وأقواسها قائمة حتى اليوم، وما زالت تحتفظ بروح الفن المعماري البيزنطي المميز في البادية الأردنية. وقد تحولت الكنيسة لاحقاً إلى مسجد خلال العهد الأيوبي، مع إضافة محراب واتجاه الصلاة نحو الجنوب، وهو نموذج رائع لاستمرارية الطابع القدسي للمكان عبر العصور



Graphic documentation of the Church of Saints Sergius and Bacchus at Umm al-Surab by H. C. Butler, after Butler 1919, ill. 78, p. 97

الكنائس البيزنطية الأخرى

إلى جانب الكنيسة الرئيسية، تضم أم السرب كنيستين أخريين على الأقل من الفترة نفسها، تقع إحداها في الجهة الغربية من القرية والأخرى في الجهة الشمالية. وتوجد كذلك بقايا معمارية تعرف بـ "الكنيسة ذات الأقواس"، وتتميز بأقواس حجرية كبيرة ربما كانت جزءاً من رواق كنيسة أو باحة دير. يدل تعدد الكنائس على كثافة الاستيطان البيزنطي في الموقع، وعلى الدور الديني الذي لعبته القرية في ذلك العصر.

البيوت البازلتية القديمة

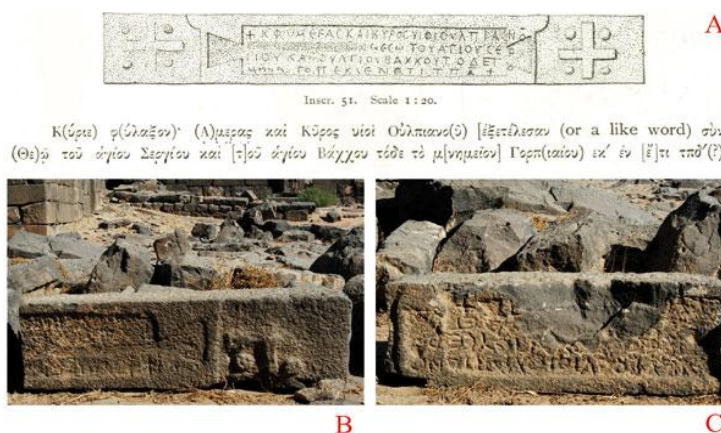
تنتشر في أم السرب بقايا عشرات المنازل المبنية بالحجر البازلتي الأسود، وهي من أكثر المعالم لفتاً للانتباه. تتميز هذه البيوت بسماكة جدرانها، وأقواس أبوابها ونوافذها، وبعضها بني بطابقين، مما يعكس تطوراً هندسياً ملحوظاً. يعود بناء كثير من هذه المنازل إلى العصر الروماني المتأخر، واستمر استخدامها خلال الفترات اللاحقة مع إضافات بسيطة عبر الزمن. ويظهر الجزء الغربي من الموقع تنظيماً عمرانياً واضحاً لمسكن القرية القديمة.



Piers and capitals from civil buildings in Umm al-Surab: e. TU 24, BE 2B, west wall; f. TU 24, BE 2B, east wall; g. comparison with TU 16. Piers and capitals from religious buildings from Umm al-Surab: h. northern pier of the Church of the Saints Sergius and Bacchus and from Umm al-Jimal: i. and l. from the so-called Cathedral and m. from the West church, where it is possible to observe the presence of the two different piers with capitals

الأعمدة والنقوش الأثرية

يضم الموقع أعمدة بازلتية وقواعد أعمدة متناثرة في أجزائه المختلفة، منحوتة بأسلوب معماري روماني كلاسيكي. كما عُثر في القرية على مجموعة من النقوش باللغتين النبطية واليونانية، بينها نقش يشير إلى اسم الملك ربّ إيل الثاني. تكشف هذه النقوش عن قدم الموقع وأهميته، كما تعطي صورة واضحة عن الحضور الديني والثقافي للمجتمعات القديمة التي سكنت المكان.



نظام المياه والبرك الرومانية

بالرغم من قلة المياه في المنطقة، استطاع سكان أم السرب القدماء تطوير نظام مائي متكامل. أنشأ الرومان بركا لجمع مياه الأمطار، إضافة إلى آبار قريبة من المساكن لتوفير المياه اللازمة للاستيطان والزراعة. وقد بقيت آثار إحدى البرك الرومانية الكبيرة في القرية حتى اليوم، وتُعد مثالا على براعة الرومان في التأقلم مع بيئة البادية.

الأبحاث والتنقيبات الأثرية في موقع أم السرب

حظي موقع أم السرب باهتمام كبير من الباحثين وعلماء الآثار منذ أواخر القرن التاسع عشر، نظرًا لقيمته التاريخية والمعمارية. وتُعد بعثة جامعة برنستون الأمريكية بقيادة الباحث هوارد كروسبي بتلر أول فريق يجري دراسة علمية منهجية للموقع بين عامي 1904 و1905. قام بتلر خلال زيارته بتوثيق قرية أم السرب كاملة، ورسم مخطط تفصيلي لكنيسة القديسين سرجيوس وباخوس، كما سجّل النقوش النبطية واليونانية المكتشفة في الموقع. وقد التقط الفريق آنذاك أولى الصور الفوتوغرافية للكنائس والبيوت البازلتية من الداخل والخارج، مما وفر توثيقًا بصريًا مهمًا قبل أي أعمال ترميم حديثة.

توالى بعد ذلك الدراسات والزيارات العلمية. ففي عام 1928 قام عالم الآثار البريطاني ج. ر. هاردنج بتسجيل موقع أم السرب رسميًا وضمه إلى سجلات دائرة الآثار الأردنية. وخلال ستينيات القرن الماضي، قام الباحث الألماني ألفريد ميتتمان بمسح واسع للنقوش الكتابية في الموقع، بينما أجرى الدكتور جيرالد كينغ عام 1980 دراسة ميدانية شملت حصر الكنائس والمباني البيزنطية في الموقع ومقارنتها بنماذج معمارية مشابهة في منطقة حوران.

شهدت بدايات القرن الحادي والعشرين اهتمامًا متجددًا بالموقع. ففي عامي 2001 و2002 نُفذت دائرة الآثار العامة الأردنية أعمال تنقيب وصيانة في كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس، كشفت خلالها أجزاء من مخطط الكنيسة وأرضياتها القديمة وأُجريت تدعيمات إنشائية أولية للجدران. وفي عام 2007 نُفذت حفريات أثرية داخل أحد البيوت السكنية بهدف دراسة الطبقات السكنية الإسلامية المتأخرة، وأظهرت نتائج الحفريات أدلة على انهيارات معمارية يُرجّح أنها نتجت عن زلزال ضرب المنطقة في أواخر العصر الأموي، حيث عُثر تحت الانقراض على فخار أيوبي وعباسي مبكر فوق طبقات أموية وبيزنطية.

على الصعيد الدولي، ساهمت بعثات أوروبية في رفع مستوى المعرفة بالموقع. ففي عام 2002 أجرت جامعة "لا سابينزا" الإيطالية مسحاً أثرياً وطبوغرافياً شاملاً شمل دراسة المنازل البازلتية القديمة في الجزء الغربي من القرية. وفي عام 2009 أطلقت جامعة سيينا الإيطالية مشروعاً بحثياً متقدماً لدراسة عمارة كنائس أم السرب وبلدة سما السرحان باستخدام تقنيات علم آثار المباني، بما في ذلك المسح ثلاثي الأبعاد والتحليل الهندسي للحجارة وأساليب البناء القديمة. وقد أسهم هذا المشروع في فهم أعمق لتطور العمارة في المنطقة من العصر الروماني إلى العصر الإسلامي.

أما أحدث الدراسات الأثرية فقد جاءت عبر مبادرة أردنية فرنسية مشتركة. إذ أطلقت جامعة اليرموك مشروعاً بحثياً وتعليمياً بالتعاون مع جامعة باريس الأولى (السوربون) والمركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا منذ عام 2018. شارك في هذه الحفريات طلبة من الدراسات العليا، وتم توظيف أدوات توثيق حديثة مثل المحطة الشاملة، مما أتاح رسم خارطة أثرية دقيقة لأم السرب. وكشفت الحفريات عن كميات كبيرة من الفخار الإسلامي من الفترات الأيوبية والمملوكية، إلى جانب آثار أموية وعباسية أقدم، مما يبين أن الموقع شهد استيطاناً إسلامياً طويلاً ومكثفاً. وقد تواصلت هذه التنقيبات خلال موسم ثانٍ عام 2019، بهدف كشف مزيد من طبقات الاستيطان وتوثيقها تمهيداً لتطوير الموقع علمياً وسياحياً.

لقد أسهمت هذه الدراسات المتعاقبة من فرق دولية ومحلية في بناء قاعدة معرفية قوية عن تاريخ أم السرب، وأتاحت توثيقاً علمياً دقيقاً سيكون أساساً مهماً لأي أعمال ترميم وتطوير مستقبلية. وقد ساعدت هذه الجهود في رفع مستوى الوعي بقيمة الموقع على الصعيدين الوطني والدولي، وفي تعزيز المطالبة بحمايته وتطويره.



Umm al-Surab, TU 28: 3D model with high-resolution and photorealistic rendering of the surfaces of the Church of Saints Sergius and Bacchu

جهود الترميم والتأهيل الحديثة

شهد موقع أم السرب في السنوات الأخيرة طفرة مهمة في مستويات الصون والحفظ، وذلك عبر مشروع دولي كبير لإعادة تأهيل ثلاثة مواقع أثرية في محافظة المفرق، أحدها أم السرب. جاء المشروع بتمويل وإشراف منظمة اليونسكو، وبالتعاون مع منظمة العمل الدولية والاتحاد الأوروبي، وبالشراكة مع وزارة السياحة والآثار ودائرة الآثار العامة. وقد تميز هذا المشروع باتباع نهج يجمع بين حماية التراث وتنمية المجتمع المحلي، إذ جرى تشغيل عدد كبير من أبناء المنطقة واللاجئين السوريين في أعمال الترميم بهدف توفير فرص عمل، وبناء مهارات فنية محلية في مجال صيانة الآثار.

شملت أعمال الترميم تنظيف الموقع بالكامل من النفايات والأعشاب المتراكمة، ومعالجة الشقوق في الجدران البازلتية وإعادة بناء الأجزاء المنهارة باستخدام مواد مماثلة للأصل. كما نُفذت أعمال تدعيم دقيقة في كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس والمجمع المحيط بها لضمان سلامة الأعمدة والأقواس والحفاظ على ما تبقى من

العناصر الزخرفية. وتم تنفيذ شبكة مسارات حديثة للزوار داخل الموقع، مع وضع لوحات إرشادية متعددة اللغات، لتسهيل التعرف على المعالم الأثرية والتنقل بينها بأمان. وشملت التحسينات أيضًا إنشاء نقاط استراحة وملاجئ صغيرة تحمي الزوار من أشعة الشمس.

كما ركز المشروع على العناصر الفنية، حيث تمت إزالة الأتربة عن الفسيفساء البيزنطية وتقويتها، إضافةً إلى ترميم الجص والزخارف المتبقية على جدران الكنيسة والمسجد. وفي المناطق السكنية، جرى تنظيم الأحجار المتناثرة وإعادة ترتيبها بما يحافظ على الطابع الأصلي للمباني. وتم تحسين نظام تصريف المياه عبر تنظيف القنوات القديمة وفتح الآبار لضمان سلامة الأساسات وعدم تجمع المياه.

استمر تنفيذ هذه الأعمال أربعة أشهر متواصلة، وشارك فيها 445 عاملاً وعاملة من سكان المنطقة والملاّجئين، مما أعطى للمشروع بُعداً اجتماعياً وإنسانياً واضحاً. وأكدت اليونسكو أن الهدف لم يكن ترميم الحجارة فقط، بل كذلك تعزيز الوعي بتراث المنطقة لد تأتي هذه الجهود امتداداً لمشاريع سابقة نفذتها دائرة الآثار العامة خلال العقدين الماضيين، خصوصاً في كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس. إلا أن المشروع الدولي الأخير يُعد نقلة نوعية من حيث شموليته واعتماده معايير الترميم الحديثة، وكذلك توفيره بنية تحتية سياحية لصالح الزوار. واليوم، أصبح موقع أم السرب أكثر جاهزية لاستقبال الزائرين، وأكثر قدرة على سرد تاريخه بطريقة جذابة تحافظ على أصالته وتخدم التنمية المحلية، وغرس شعور بالمسؤولية المشتركة تجاه حماية الموقع.



أهمية أم السرب سياحيًا وتراثيًا وفرص التنمية المحلية

تمثل أم السرب وجهة سياحية وثقافية واحدة لما تحويه من قيمة تاريخية وتراثية فريدة. فهي تجمع في مكان واحد آثاراً نابضة من حقبة متعددة، تمتد من الحضارة النبطية إلى العصور الإسلامية، مما يجعل زيارتها أشبه برحلة عبر الزمن. يستطيع الزائر أن يشاهد بأم عينه تعاقب الحضارات فوق هذه الأرض، حيث تقف الكنائس البيزنطية بجانب المنازل والمساجد الإسلامية التي بنيت على أسسها، وتظهر النقوش النبطية جنباً إلى جنب مع الكتابات اليونانية القديمة. هذا التنوع التاريخي والمعماري يمنح أم السرب أهمية استثنائية ويثري التجربة السياحية ثقافياً ومعرفياً.

من الناحية المعمارية، تتميز أم السرب بطابع فريد يختلف عن كثير من المواقع الأثرية الأخرى في الأردن. فهي تنتمي إلى إقليم حوران البركاني، الذي تنتشر فيه قرى أثرية مبنية من الحجر البازلتي الأسود مثل أم الجمال وبُصرى وغيرها. ويجذب هذا الطراز المعماري السياح والباحثين المهتمين بسياحة العمارة الصحراوية، حيث يمكن للزائر استكشاف المدن التي شُيّدت من الصخر البركاني وكيف تكيف سكانها مع بيئتهم القاسية. وبفضل أعمال التأهيل الحديثة التي وفرت مسارات للزوار ولوحات تعريفية بالموقع، أصبح بإمكان الزائر التجول بين

أطلال القرية بسهولة وأمان، والتعرف على معالمها التاريخية من خلال نصوص وصور توضيحية في الموقع. إن هذه التجربة مكنت أم السرب من أن تتحول تدريجياً إلى محطة بارزة على خارطة السياحة الثقافية في الأردن.

تلعب أم السرب كذلك دوراً مهماً في التنمية المحلية لمحافظة المفرق وقراها. فتنشيط السياحة في الموقع يمكن أن يخلق فرص عمل جديدة لأبناء المجتمع، سواء في الإرشاد السياحي أو خدمات الزوار أو الحرف اليدوية وصناعات التذكارات التراثية. وقد ظهر هذا الأثر بوضوح خلال مشروع الترميم الأخير، إذ جرى تشغيل مئات العمال من أبناء المنطقة واللاجئين في أعمال التأهيل. ويُعد هذا المثال الحي دليلاً على قدرة الاستثمار في التراث على تحسين مستوى المعيشة وتعزيز اندماج المجتمعات المحلية واللاجئين من خلال مشاريع بناءة تحفظ التراث وتضمن مردوداً اجتماعياً. ومع مرور الوقت، يمكن أن تتطور أم السرب إلى موقع سياحي متكامل يضم مركز زوار صغيراً أو متحفاً يقدم تاريخ المنطقة، إضافةً إلى مهرجانات تراثية أو فعاليات سنوية تُبرز التراث غير المادي للبادية الشمالية، مثل الطعام الشعبي والحرف التقليدية، مما ينعش الاقتصاد المحلي ويعزز استدامة الموقع.

على المستوى الوطني، تُعد أم السرب جزءاً من الهوية التراثية الأردنية الغنية. فهي شاهد على تواصل الحضارات على أرض الأردن، وعلى الدور التاريخي لمنطقة الشمال كطريق للقوافل والتجارة والحجاج عبر القرون. إن حماية مثل هذه المواقع والترويج لها يثري المنتج السياحي الأردني، ويقدم للزائر رواية متكاملة عن تاريخ المملكة. ويمكن دمج أم السرب ضمن مسار سياحي واحد مع مواقع قريبة مثل أم الجمال ومدينة رحاب وقلعة الفدين، مما يخلق تجربة سياحية متنوعة في مساحة جغرافية واحدة، ويتيح للزائر الاستمتاع بآثار رومانية وبيزنطية وإسلامية وعثمانية خلال زيارة واحدة، ويزيد من مدة إقامة السياح في المنطقة.

وفي ظل الاهتمام المتنامي عالمياً بصون التراث الثقافي، توفر أم السرب آفاقاً واسعة للتعاون الدولي المستقبلي. فقد أثبتت تجربة اليونسكو في الموقع نجاح نموذج “النتمية من خلال التراث”، وهو نموذج يمكن تطبيقه في مواقع تاريخية أخرى بالمفرق أو في الأردن عمومًا. كما أن الترويج الإعلامي للموقع وتقديمه في المحافل السياحية والأثرية قد يفتح الباب لإدراج أم السرب ضمن قائمة المواقع التراثية ذات الأهمية الوطنية أو العالمية، أو على الأقل ضمن لائحة السياحة الرسمية في الأردن، مما يضمن حماية أكبر لها وتعزيز فرص الاستثمار في المستقبل.

التحديات التي تواجه موقع أم السرب الأثري

على الرغم من القيمة التاريخية والمعمارية الفريدة لموقع أم السرب، إلا أنه يواجه مجموعة من التحديات التي قد تؤثر على استدامته وقدرته على لعب دور سياحي وثقافي فاعل. ويستدعي ذلك تكاتف الجهود الرسمية والمجتمعية والدولية لمعالجة هذه التحديات وضمان حماية الموقع للأجيال القادمة.

محدودية التمويل لأعمال الترميم والصيانة

لا تزال موارد الترميم المتاحة للموقع محدودة، مما يحدّ من القدرة على تنفيذ برامج صون دورية أو معالجة الأضرار التي تتعرض لها الأبنية البازلتية بمرور الزمن. ويؤدي غياب التمويل الكافي إلى تأجيل أعمال الصيانة الضرورية، وهو ما يجعل المباني الأثرية أكثر عرضة للتآكل أو الانهيار.

عوامل التعرية الطبيعية

تتأثر مباني أم السرب بعوامل المناخ الصحراوي القاسي، بما في ذلك الرياح، الأمطار الموسمية، والتغيرات الحرارية الحادة بين الليل والنهار. هذه الظروف تؤدي إلى تآكل الجدران البازلتية وإنهيار أجزاء من الأبنية مع مرور الوقت، ما يتطلب جهودًا متخصصة للحماية وتقوية الأساسات.

1. نقص البنية التحتية السياحية

رغم أعمال التأهيل الأخيرة، لا يزال الموقع بحاجة إلى تطوير بنية تحتية أوسع تشمل خدمات للزوار، مرافق عامة، طرق وصول ميسرة، ونظام توجيه متكامل. إن ضعف هذه البنية يحدّ من قدرة الموقع على استقبال السياح بأعداد أكبر ويقلل من فرص استثماره اقتصاديًا.

2. ضعف الوعي المحلي بأهمية التراث

يواجه الموقع تحديًا مرتبطًا بمحدودية الوعي المجتمعي بأهمية حماية التراث والمحافظة عليه. وقد يؤدي ذلك إلى إهمال بعض أجزاء الموقع أو استغلالها بشكل عشوائي. إن تعزيز الوعي لدى السكان خصوصًا فئة الشباب يمكن أن يشكل خط الدفاع الأول لحماية هذا الإرث.

3. صعوبة الوصول وغياب الخدمات

يعاني زوار أم السرب أحيانًا من ضعف الخدمات اللوجستية، مثل المواصلات العامة، اللوحات الإرشادية الخارجية، أو نقاط البيع والمعلومات. كما أن بعض المسارات الداخلية تحتاج إلى تطوير دائم لضمان سلامة الزائرين وتقديم تجربة مريحة.

تمثل هذه التحديات فرصة حقيقية لإطلاق مشاريع صيانة وتطوير متكاملة تستهدف حماية الموقع وتحسين قدراته السياحية. وكلما توفرت الموارد المالية والدعم الفني، زادت قدرة أم السرب على أن تتحول إلى نموذج ناجح في السياحة الثقافية والتنمية المحلية المستدامة.

الطموحات المستقبلية لموقع أم السرب

تطمح أم السرب إلى أن تصبح خلال السنوات القادمة نموذجاً بارزاً في سياحة التراث بالبادية الشمالية الأردنية، إذا توفر الدعم الكافي والموارد اللازمة لتطويرها. من أبرز هذه الطموحات إدراج الموقع رسمياً على خارطة السياحة الوطنية، بما يعزز حضوره كوجهة ثقافية وتاريخية مهمة. ويمكن أن يتكامل الموقع مع مواقع مجاورة مثل أم الجمل، رحاب، وقلعة الفدين، لتشكيل مسار سياحي متكامل يجذب الزوار ويطيل مدة إقامتهم في محافظة المفرق.

كما يمكن توظيف البيوت البازلتيّة القديمة وتحويل بعضها إلى معارض صغيرة أو فضاءات ثقافية مفتوحة تستقبل الأنشطة التعليمية والفنية، مما يجعل التراث المعماري جزءاً حياً من تجربة الزوار اليومية. إلى جانب ذلك، يمكن أن تستضيف أم السرب مهرجانات تراثية سنوية تُبرز ذاكرة المنطقة ولامحها الثقافية، وتخلق تفاعلاً اجتماعياً واقتصادياً مستمراً مع المجتمع المحلي. سيسهم هذا النشاط السياحي في خلق فرص عمل دائمة في مجالات الإرشاد السياحي، والصيانة، وإدارة الفعاليات والخدمات ذات الصلة، مما يدعم الاقتصاد المحلي بصورة ملموسة.

وتكمن إحدى أبرز الطموحات في إشراك المجتمع المحلي في حماية الموقع والحفاظ عليه ليصبح نموذجاً للسياحة المستدامة المبنية على الوعي والمسؤولية الاجتماعية، بحيث يشعر السكان بأن الموقع جزء من هويتهم

وذاكرتهم الجماعية. كما يُعد تأسيس منصة رقمية تفاعلية للترويج للموقع وإتاحة جولات افتراضية للزوار والباحثين حول العالم خطوة مهمة نحو توسيع دائرة الاهتمام بأم السرب وتحويلها إلى مقصد دولي للباحثين والمهتمين بالتراث.

إجابات أسئلة البحث

السؤال الأول: ما هي المراحل التاريخية والاستيطانية التي مر بها موقع "أم السرب" ودوره في المنطقة؟

مر موقع "أم السرب" بمراحل تاريخية واستيطانية متعاقبة تعكس تفاعلاً مستمراً بين الإنسان والبيئة المحيطة، حيث تشير الدراسات الأثرية والنقوش إلى أن الموقع شهد نشاطاً بشرياً مكثفاً وازدهاراً كبيراً خلال العصر البيزنطي، وتحديداً في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، حيث تحول إلى مركز زراعي وديني مهم. وقد استمر هذا الازدهار وانتقل الموقع بسلسلة نسبية إلى العصر الأموي، حيث حافظ على دوره كمركز لإنتاج الزيت والنبذ، وتتضح هذه المرحلة من خلال بقايا الكنائس المزينة بالفسيفساء، والمنازل الفسيحة، ومعاصر الزيتون، وخزانات المياه الضخمة. ولم يكن الموقع مجرد قرية زراعية، بل كان يدار من قبل نخبة محلية (غالباً من الغساسنة أو وجهاء المنطقة) لعبت دوراً في الشبكة الاقتصادية الإقليمية، مما خلق طبقات أثرية متراكمة تحكي قصة التكيف البشري والازدهار الاقتصادي في منطقة حوران على مر القرون.

السؤال الثاني: ما أبرز الخصائص المعمارية والهندسية التي تميز موقع "أم السرب"؟

تتميز العمارة في موقع "أم السرب" بكونها عمارة محلية بامتياز تعتمد بشكل شبه كلي على الحجر البازلتي الأسود المتوفر في البيئة الجيولوجية المحيطة، وهو ما أعطى الموقع طابعه البصري الفريد والمتانة العالية. وتتجلى العبقرية المعمارية في التصميم الفراغي للمباني، حيث استخدمت الأقبية والسقوف الحجرية المسطحة

أو المقببة لتقليل الحاجة إلى الأخشاب، وتوظيف الفتحات الصغيرة للتحكم في الإضاءة والتهوية. كما تبرز في الموقع العناصر المعمارية المرتبطة بإدارة الموارد، مثل تصميم خزانات المياه الأرضية (الصهاريج) وقنوات تجميع مياه الأمطار، ومعاصر الزيتون الحجرية المعقدة، والتي لم تكن مجرد منشآت خدمية، بل كانت تمثل نواة للاقتصاد المحلي وتنظيم الفراغات العامة والخاصة في المستوطنة، مما يعكس تخطيطاً عمرانياً متقدماً يخدم الوظائف الزراعية والدينية والسكنية.

السؤال الثالث: ما الوضع الراهن لحالة الحفظ وأبرز التهديدات التي تواجه الموقع الأثري؟

يواجه موقع "أم السرب" في وضعه الراهن تحديات جسيمة تهدد بقاءه، حيث تعاني العديد من منشآته المعمارية من حالة من التدهور والتآكل بسبب العوامل الطبيعية القاسية مثل الرياح، والتقلبات الحرارية الحادة التي تؤدي إلى تشقق الحجر البازلتي، والأمطار المفاجئة التي تسبب تعرية الأساسات. وإلى جانب التهديدات الطبيعية، هناك تهديدات بشرية تتمثل في التعديات العمرانية والزراعية المجاورة، والرعي الجائر، بالإضافة إلى ممارسات التخريب وسرقة الأحجار من قبل البعض. كما يفتقر الموقع حالياً إلى مظلات حماية، أو أنظمة صرف مياه أمطار فعالة، أو مسارات آمنة للزوار، مما يجعله في حالة هشاشة شديدة تستدعي تدخلاً عاجلاً للصون الوقائي قبل الشروع في أي أنشطة سياحية قد تزيد من الضغط على نسيجه الأثري.

السؤال الرابع: كيف يمكن تطبيق مبادئ السياحة المستدامة في موقع "أم السرب" دون الإضرار بقيمته الأثرية؟

يمكن تطبيق مبادئ السياحة المستدامة في الموقع من خلال تبني نموذج "السياحة منخفضة التأثير" الذي يركز على الجودة بدلاً من الكمية، وذلك من خلال تحديد طاقة استيعابية صارمة للزوار بناءً على دراسات الأثر

البيئي والأثري. ويتطلب ذلك إنشاء بنية تحتية سياحية خفيفة وصديقة للبيئة، مثل ممرات خشبية أو معدنية مرتفعة تحمي التربة الأثرية وتمنع الدوس على البقايا، ومركز للزوار مبني على أطراف الموقع بعيداً عن النواة الأثرية الحساسة. كما يشمل التطبيق المستدام تطوير برامج تفسيرية وتثقيفية للزوار تركز على القيم التراثية، وتوجيه سلوكياتهم نحو الاحترام، بالإضافة إلى توظيف التقنيات الرقمية مثل الواقع المعزز لعرض إعادة الإعمار الافتراضي للمباني المهدمة دون المساس بالأصل، مما يضمن تجربة غنية مع الحفاظ التام على سلامة الموقع.

السؤال الخامس: ما الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية المتوقعة من تطوير الموقع كوجهة سياحية مستدامة لمحافظة المفرق؟

من المتوقع أن ينعكس تطوير الموقع بشكل مستدام بإيجابيات كبيرة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي في محافظة المفرق، حيث سيؤدي إلى خلق فرص عمل مباشرة وغير مباشرة لأفراد المجتمع المحلي، سواء في مجال الإرشاد السياحي، أو إدارة المرافق، أو الحرف اليدوية التقليدية. وسيحفز ذلك ريادة الأعمال المحلية من خلال إنشاء مشاريع صغيرة مثل المقاهي التراثية، وبيوت الضيافة في القرى المجاورة، وورش الحرف اليدوية، مما يساهم في تنويع مصادر الدخل والحد من البطالة. اجتماعياً، سيعزز المشروع من فخر المجتمع المحلي بتراثه، ويحيي الذاكرة الجماعية، ويقوي الروابط الاجتماعية من خلال إشراك السكان في إدارة الموقع وصونه، مما يخلق نموذجاً ناجحاً للسياحة القائمة على المجتمع المحلي والتي تعود نفعها مباشرة على أصحاب المصلحة الأساسيين.

النتائج والتوصيات

النتائج

- أثبتت الدراسة أن موقع "أم السرب" لم يكن مجرد قرية زراعية عابرة، بل شهد استيطاناً بشرياً مستمراً ومتطوراً عبر الفترتين البيزنطية والأموية، مدفوعاً بتوفر الموارد المائية وخصوبة التربة البركانية. وقد أكدت النتائج أن الموقع لعب دوراً حيوياً في الشبكة الاقتصادية للمنطقة كمركز لإنتاج الزيت والنبذ، مما يمنحه قيمة تاريخية عالية تجعله مصدراً غنياً لدراسة أنماط الحياة الريفية والاقتصاد الزراعي في بلاد الشام خلال العصور القديمة.
- كشفت التحاليل المعمارية عن توظيف ذكي ومكثف للحجر البازلتي الأسود المحلي، وتقنيات بناء متقدمة تعتمد على الأقبية والأسقف الحجرية التي تتلاءم تماماً مع المناخ المحلي. وقد أظهرت النتائج أن التصميم الفراغي للمباني، وشبكات تجميع المياه، ومعاصر الزيتون المعقدة، يعكس فهماً عميقاً للهندسة والبيئة لدى بناء الموقع، مما يمثل إرثاً معمارياً وهندسياً فريداً يستحق التوثيق والدراسة.
- رصدت الدراسة مستوى عالٍ من التدهور في العديد من العناصر المعمارية، خاصة في الأسقف والأقبية الحجرية، بسبب التعرية الجوية، والتقلبات الحرارية، وغياب خطط الصون الوقائي السابقة. وتؤكد هذه النتيجة أن أي خطوة نحو التنمية السياحية يجب أن تسبقها أو تترافق معها عمليات توثيق رقمي ثلاثي الأبعاد، وتدخلات هندسية دقيقة لتثبيت الهياكل المتداعية، وتحسين تصريف مياه الأمطار، لضمان عدم فقدان الموقع لأصالته المادية.

- أظهرت النتائج أن الموقع يمتلك مقومات تراثية وبيئية فريدة تؤهله ليكون وجهة مثالية للسياحة الثقافية والرفيعة المتخصصة، والتي يبحث عنها السياح المهتمون بالتجارب الأصيلة والبعيدة عن الزحام التجاري. إن الطبيعة الهادئة للموقع، وغموض تاريخه، وقربه من مواقع أثرية أخرى في المفرق، تشكل عناصر جذب قوية يمكن تسويقها بشكل مسؤول لجذب شريحة سياحية واعية تقدر التراث وتلتزم بأداب الحفظ.
- خلصت الدراسة إلى أن دمج المجتمع المحلي في محافظة المفرق في إدارة وتشغيل الموقع ليس مجرد خيار أخلاقي، بل هو ضرورة اقتصادية لضمان استدامة المشروع مالياً وإدارياً. وقد أثبتت النتائج أن تمكين السكان المحليين من خلال تدريبهم وتحويلهم إلى شركاء في النجاح، سيؤدي إلى خلق اقتصاد محلي داعم، وتقليل تكاليف الصيانة من خلال المراقبة المجتمعية، وتعزيز الانتماء الوطني والتراثي لدى الأجيال الشابة في المحافظة.

التوصيات

- يُوصى بأن تتدخل وزارة السياحة والآثار الأردنية بشكل عاجل لتنفيذ خطة شاملة للحفاظ الوقائي؛ بحيث تتضمن تدعيم الجدران والأقبية الآخذة في التدهور باستخدام مواد متوافقة مع حجر البازلت الأصلي، مع تجنب استخدام الأسمنت الحديث الذي يلحق الضرر بالعناصر الحجرية الأثرية. كما ينبغي إنشاء أنظمة فعالة لتصريف مياه الأمطار حول الموقع لمنع تجمع المياه عند الأساسات. وبالإضافة إلى ذلك، يجب توثيق الموقع بالكامل باستخدام تقنية المسح الليزري ثلاثي الأبعاد، وذلك لإنشاء أرشيف رقمي دقيق يُعدّ مرجعاً علمياً دائماً.

- توصي الدراسة بوضع "مخطط توجيهي" خاص بموقع "أم السرب" يحدد مناطق الحظر التام، ومناطق الزيارة المحدودة، ومناطق الخدمات. ويجب أن يتضمن المخطط تصميم مسارات مشاة مرتفعة تمنع الزوار من الدوس على التربة الأثرية، وإنشاء مركز للزوار على مسافة آمنة من النواة الأثرية يوفر الخدمات الأساسية، ومعرضاً تفسيريّاً يروي قصة الموقع. كما يجب تحديد سقف يومي لعدد الزوار (القدرة الاستيعابية) وعدم تجاوزه تحت أي ظرف للحفاظ على التوازن الأثري والبيئي.
- يجب تبني سياسة صارمة لإشراك أبناء المجتمع المحلي والقرى المحيطة في محافظة المفرق في جميع مراحل المشروع. ويوصى بإنشاء "جمعية تعاونية محلية" لإدارة الخدمات السياحية في الموقع، وتدريب الشباب والنساء على الإرشاد السياحي التراثي، وإحياء الحرف اليدوية والزراعية المحلية لبيعها في الموقع. كما يُنصح بتخصيص نسبة ثابتة من عوائد تذاكر الدخول والأنشطة السياحية تُضخ مباشرة في صندوق محلي يُستخدم لتحسين البنية التحتية للقرى المجاورة وتمويل المشاريع الصغيرة للأسر.
- تُوصي الدراسة بالاستفادة من التقنيات الحديثة مثل الواقع المعزز والواقع الافتراضي لتقديم تجربة تفسيرية غنية للزوار دون المساس بالموقع المادي. فمن خلال تطبيقات الهواتف الذكية أو النظارات الخاصة، يمكن للزائر رؤية كيف كان يبدو الموقع في أوج ازدهاره، وكيف كانت تُستخدم معاصر الزيت وخزانات المياه، مما يعوض عن نقص البقايا الظاهرة أو الأسقف المهدمة. كما يُوصى بإطلاق حملات ترويجية رقمية تركز على قيمتي "الأصالة" و"الاستدامة"، لجذب السياح الواعين ثقافياً.
- نظراً لأن المواقع الأثرية لا تعمل بمعزل عن محيطها، يُوصى بدمج "أم السرب" في مسارات سياحية إقليمية تربطه بمواقع أخرى في المفرق مثل "أم الجمال" و"برقع"، لتشجيع الزوار على المبيت في المحافظة.

بالإضافة إلى ذلك، يُوصى بتشكيل "لجنة إدارة موقع" تضم في عضويتها خبراء آثار، ومخططين سياحيين، وممثلين عن المجتمع المحلي، وممثلين عن البلدية. وتكون مهمة هذه اللجنة هي المراقبة المستمرة لحالة الموقع، وتقييم الأثر الاجتماعي والاقتصادي للسياحة، ومراجعة الخطط التشغيلية بشكل دوري لضمان توافق الأنشطة السياحية مع معايير الاستدامة.

خاتمة: دعوة لدعم وحماية موقع أم السرب الأثري

في الختام، تمثل أم السرب كنزًا أثريًا وإنسانيًا يستحق أن نحافظ عليه وأن نعمل على استثماره لصالح الأجيال القادمة. فهي ليست مجرد أطلال أو بقايا معمارية صامتة، بل موقع نابض بالحياة يروي قصة الأردن عبر العصور، ويجسد تعاقب الحضارات على هذه الأرض. ومن هذا المنطلق، ندعو الجهات الحكومية المختصة إلى مواصلة جهودها في حماية الموقع، وتسييجها، ومراقبته بشكل مستمر لمنع أي اعتداءات أو عبث قد يهدد مكوناته. كما ندعو الجهات الدولية والمانحين إلى تقديم الدعم المادي والفني اللازم لتنفيذ أعمال صيانة دورية، وتطوير الخدمات السياحية، وتحسين تجربة الزوار داخل الموقع.

وعلى المستوى المحلي، يبرز دور أبناء المجتمع في حماية أم السرب وتبنيها كجزء من هويتهم الثقافية؛ فالمحافظة على هذا الموقع مسؤولية مشتركة تعزز الانتماء للتراث الوطني، وتفتح المجال أمام مشاركة المجتمعات في صون ذاكرة المكان.

إن تفعيل مبادرات السياحة الثقافية المستدامة في أم السرب سيحقق فوائد متعددة؛ فمن جهة ستسهم عوائد السياحة في تحسين مستوى المعيشة داخل المجتمع المحلي وخلق فرص عمل جديدة، ومن جهة أخرى ستعزز الوعي بأهمية التراث لدى الزوار والسكان على حد سواء، مما يضمن بقاء هذه الكنوز حيّة في الوعي الجمعي.

فلنقف جميعاً صفّاً واحداً - حكومةً ومؤسساتٍ ومجتمعاً محلياً - لدعم أم السرب، ولنجعل منها قصة نجاح في مجال صون التراث والتنمية المحلية.

إن أم السرب هدية مبهرّة من الماضي، ومسؤوليتنا اليوم أن نصونها، وأن نعيد تقديمها للعالم بوصفها منارة ثقافية متميزة، تعكس تاريخنا وهويتنا ونُثمّد لأجيالنا القادمة فهماً أعمق لجذورهم الحضارية. معاً نحو حماية أم السرب واستدامة إرثها التاريخي، لكي يظل هذا الموقع رمزاً للاعتزاز بالهوية الأردنية، وجسراً يصل بين ماضينا العريق ومستقبلنا الواعد.

المصادر والمراجع

1. وزارة السياحة والآثار الأردنية. (2022). *الاستراتيجية الوطنية للسياحة في الأردن (2021-2025)*. عمان: وزارة السياحة والآثار.
2. أبو جابر، محمد. (2020). *العمارة البيزنطية والأموية في شمال الأردن: دراسة تحليلية للمواقع في محافظة المفرق*. عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع.
3. الزعبي، خالد، والخطيب، يوسف. (2021). آفاق التنمية السياحية المستدامة للمواقع الأثرية الثانوية في الأردن: دراسة تطبيقية على محافظة المفرق. *مجلة علوم السياحة والتراث*، 12(3)، 115-140.
4. الفاعوري، محمد. (2019). *إدارة المواقع الأثرية وتحديات الحفاظ عليها في البيئات شبه القاحلة: دراسة حالة المواقع البازلتية في حوران*. إربد: دار الكندي للنشر.
5. هيئة تنشيط السياحة الأردنية. (2023). *تقرير حول المشهد السياحي في المحافظات الأردنية: الفرص والتحديات*. عمان: هيئة تنشيط السياحة الأردنية.

6. العموش، أحمد. (2018). تقنيات البناء التقليدية وإدارة المياه في المستوطنات الريفية البيزنطية في شمال الأردن. *مجلة الآثار والدراسات التاريخية*، 15(2)، 88-112.
7. المراجعة، سالم، والحوامدة، بلال. (2022). دور السياحة المجتمعية في التنمية الاقتصادية للمجتمعات المضيفة: دراسة حالة لقرى في محافظة المفرق. *مجلة الاقتصاد والتنمية المستدامة*، 9(1)، 45-68.
8. الغزو، زياد. (2021). *منهجيات حديثة لتوثيق وحفظ التراث المعماري المبني من الحجر*. القاهرة: مركز الدراسات الحضارية والتراثية.
9. الطراونة، محمد. (2020). السياحة الثقافية والتراثية: مقاربات تطبيقية في المناطق الريفية والحدودية في الأردن. *مجلة جغرافيا السياحة والتخطيط الإقليمي*، 7(4)، 22-45.
10. دائرة الآثار العامة الأردنية. (2019). *أم السرب: تقارير المسح الأثري والحفاظ* (ترجمة عربية: دائرة الآثار العامة الأردنية). (2020). *أم السرب: تقارير المسح الأثري والحفاظ* (*). عمان: دائرة الآثار العامة.